Süleyman Demirel Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi Yıl: 2023/1, Sayı: 45, s. 256-274
Journal of Süleyman Demirel University Institute of Social Sciences Year: 2023/1, Number: 45, p. 256-274
Alınış/Recieved: 31.08.2022 Kabul/Accepted: 15.11.2022 Online Yayın/Online Published: 30.04.2023

أثر البلاغة في التحليل النحوي لقضايا الحذف والرّتبة عند ابن جنّي*

Sevim ÖZDEMİR[1]
Abdullah NEBİOĞLU [2]

الملخص

جاء بحثنا الموسوم بأثر البلاغة في التحليل النحوي لقضايا الحذف والرتبة عند ابن جني دراسة مفصلة لأبرز الأساليب التركيبية في ميادين الحذف والتقديم والتأخير التي يعتريها تغيير واسع تحت مظلة الجواز النحوي وتترك أثرًا بلاغيًا واضحًا، لكنّنا في بحثنا هذا جعلنا مركز الاهتمام التحليل النحوي لهذا التغيير أو ذاك وفق رؤية بلاغية جمالية، فنحن لا ندرس الأثر البلاغي لهذا الحذف، بل نهتم بالأثر البلاغي الذي يدفعنا بالسير وراء استعمال هذا الحذف دون غيره من أوجه الاستعمال اللغوي، ولا نقصد بالبلاغة هنا المدرسية التعليمية الشائعة، إنما نقصد البلاغة الأدبية التي تمنح الجمل جمالاً مميزًا، وتدفع المتكلم لاستعمال ذلك الأسلوب دون غيره، وهذا ما كان يرمي إليه ابن جني في أغلب تلك المظاهر التي سنعرضها في البحث.

وقد أراد البحث تسليط الضوء على قضية لم تنل حقّها من البحث، وهي تأثير البلاغة في الدرس النحوي، إذ رغم وجود علاقة بين النحو والبلاغة لم تنل البلاغة مكانتها الحقيقية المؤثرة في الجانب التركيبي عند النحاة، وسيحاول البحث إرساء لبنة في هذا الميدان الحريّ بالدراسة.

وقد التزم البحث المنهج الوصفي في عرض المادة العلمية كونه الأنسب في الدراسات النحوية البلاغية، ولم نلتزم عملية استقصاء جميع مظاهر الحذف ذات الأبعاد النحوية البلاغية عند ابن جنّي، إنّما عرضنا لأبرز المظاهر النحوية التي حلّل ظواهرها ابن جني تحث مظلة الوعي الجماليّ البلاغيّ لديه.

الكلمات المفتاحية: *البلاغة، النحو، التحليل النحوي، الحذف، التقديم والتأخير.*

İBN CİNNİ'YE GÖRE BELAĞATİN TERTİB ve HAZF KONULARINDAKİ DİLBİLGİSEL ÇÖZÜMLEMEDEKİ ETKİSİ

Özet

Çalışmamızda İbn Cinni'nin 'tertib' ve 'hazf' konularında dilbilimsel çözümlemesinde belagatin etkisi konusu ele alınmıştır. Ayrıca bu çalışma dilbilimsel olarak mümkün görülen çerçevede birçok değişikliklere uğrayan

* Bu araştırma, aşağıda başlığı verilen doktora tezinden alınmıştır: "Belağat Biliminin Nahiv Çalışmalarına Etkisi (Hicri V. Asır-VIII. Asır)"

1 Sevim Özdemir, Prof. Dr., Süleyman Demirel Üniversitesi, Eğitim Fakültesi, Yabancı Diller Eğitimi Bölümü, Arap Dili Eğitimi Anabilim Dalı, sevimozdemir@sdu.edu.tr, ORCID: 0000 0002 7856 1401.

2 Abdullah Nebioğlu, Doktora Öğrencisi, Süleyman Demirel Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Temel İslam Bilimleri, ORCID: 0000-0002-0837-2111, (Sorumlu Yazar).

takdim, tehir ve hazf konularında edebi etki bırakan yapısal yöntemlerin etrafında ayrıntılı olarak yapılan bir çalışmadır. Fakat çalışmada estetik belagat görüşü uyarınca değişikliklerin dilbilimsel çözümlemesine odaklanılmıştır. Çalışmada hazfin edebi etkisine değil bilakis dilsel kullanım yöntemleri içerisinde bizi hazfe yönlendiren edebi etkiye odaklanılmıştır. Burada belagatten kasıt eğitim-öğretim süresince öğretilmekte olan belagat değildir. Cümlelere farklı estetikler katan, dil kullanıcısını diğer dilsel kullanımların yerine tertib ve hazfe iten edebi belagattir. İşte bu durum araştırmada da ortaya koyacağımız olguların çoğunda görüleceği gibi İbn Cinni'nin de kastetmiş olduğu belagattir.

Çalışmada dilbilimsel analizlerde bilimsel konuları ortaya koymada en uygun yöntem olması sebebiyle betimsel yöntem kullanılmıştır. Fakat çalışmada İbn Cinni'nin kabul etmiş olduğu dilbilimsel boyutlara sahip tüm hazf çeşitleri ele alınmamış olup sadece estetik belagat anlayışı çerçevesinde İbn Cinni'nin çözümlemiş olduğu en bariz olgulara değinilmiştir.

Anahtar Kelimeler: *Belagat, Nahiv, Dilbilgisel tahlil, Hazf, Takdim ve Tehir.*

1. مدخـل

أَوْلى علماء اللغة كبرى عنايتهم بالقضايا التركيبية لما لهذه القضايا من دور بارز في هيكلة النظام اللغوي وإبراز ما فيه من بلاغة وجمال، وتُعد قضايا الحذف والرتبة أبرز تلك القضايا كونها تمتلك مساحة واسعة من صفات التغيير وأريحية في تعدد أشكالها النمطية.

وقد دفعت هذه الخصائص والسمات المُميزة لظواهر الحذف والرتبة أن نجد قضاياها تفيض بها كتب النحو والبلاغة، لا سيما الأبحاث النحوية التي عُرف عن أصحابها ميولات بلاغية جمالية، أمثال الكتاب لسيبويه، وشرحه للرماني، وتفسير الكشّاف للزمخشري، ويتبوّء رأس القائمة من حيث الأهمية دلائل الإعجاز للجُرجانيّ، إضافةً إلى غير ذلك من الدراسات.

ويعد من أبرز العلماء أصحاب الفكر النّحوي الثاقب ذي الذوق الفنّي المرهف ابن جني، فقد امتلك عقلية نحوية تدرك طبيعة الجملة العربية وبناء أساليبها التشكيلية من ناحية، ومن ناحية أخرى امتاز بذوق بلاغي رفيع وإحساس جمالي دقيق، وهذا ما أهله أن يكون من أبرز علماء اللغة الذين رفعوا شعار الدعوة لصياغة قواعد اللغة السليمة ذات الشكل الجمالي.

وسنقف في بحثنا هذا عند أبرز قضايا الحذف والرتبة التي قام ابن جني بتحليلها نحويًا وفق رؤية بلاغية، وتحت تأثير جمالي ينزع إلى تقويم اللغة ليس بناء على ما توارثناها فحسب، بل وفق طبيعتها الدقيقة النزَّاعة إلى الأدبية في أبسط أشكالها السياقية، إذ ليس غاية البحث دراسة قضايا الحذف والرتبة نحويًا أو بلاغيا، إنما غايته تناول أثر البلاغة في التحليل النحوي وصولاً للاستعمال اللغوي المتصف بالصحة والجمال معًا.

ولا نقصد بالبلاغة في بحثنا هذا بالمفهوم التعليمي المدرسي ذو الأصول المنطقية الذي سنّه السّكّاكي وسار عليه البلاغيون من بعده، إنّما نقصد بالبلاغة هنا الأُسلوب الأدبي الجماليّ الذي تتصف به النصوص الأدبية، وهذه النّزعة البلاغية معروفة قديمًا عن العرب، وقد أرسى مظاهرها الفنّية وأطّرها عبد القاهر الجُرجانيّ في كتابيه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

هذا وقد ارتأينا أن يتفرع البحث إلى ثلاثة أقسام، جعلنا الأول منها حديثًا موجزًا عن حياة ابن جني (ت 1002/392) ومساره العلمي ونتاجه النَّرّ في شتَّى الميادين، أمَّا القسم الثاني

فجعلناه لقضايا الحذف النحوية التي عمد إلى تحليل مساراتها وفق نظرة بلاغية تدرك معنى الجمال وتصبو إليه، وجاء القسم الأخير لقضايا الرتبة التي سلك فيها نفس الدرب في الكشف عن مفاصل الظاهرة المدروسة نحويًا وُفق رؤية جمالية أدبية.

وقد انتهج البحث المنهج الوصفي كونه الأنسب في الدراسات اللغوية، إذ غايتنا تتبع آثار ابن جني التحليلية في هذه القضايا وكشف ما فيها من خبايا وتوجيهات ووضعها في المسار الصحيح بين الدراسات النحوية البلاغية.

وينبغي الإشارة إلى عدم الاهتمام بأثر البلاغة في قضايا النحو عند دارسي ابن جنّي رغم كثرة تلك الدراسات، لكنّنا لا نزعم أنّ قضية أثر البلاغة في النحو لم تجد سبيلاً عند الدارسين المعاصرين، أمثال إبراهيم فاضل السامرائي، وأحمد مطلوب، ومحمد عبد المطّلب، وغيرهم، لكنّ هذا الميدان مازال فقيرًا ويحتاج إلى العديد من الدراسات الجادّة.

2. ابــن جــنّــيّ ونشاطه العلميّ

هو أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي،[3] وكان أبوه (جِنّيّ) مملوكًا روميًّا يونانيًّا، وُلِد أبو الفتح في الموصل قبل الثلاثين والثلاثمئة للهجرة، طاف في البلاد فقصد الشام وواسط وحلب، واتّصل بسيف الدّولة في حلب وتوثّقت علاقته بالمتنبي هناك، كما لازم عضد الدولة البويهي في بغداد وكذلك أولاده من بعده صمصام الدولة وشرف الدّولة، وبهاء الدّولة وفي زمانه مات (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2002م،311/11؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1993م، 1585/5؛ القفطي، إنباه الرواة، 340/2).

تصدّر لتعليم العربية في مساجد الموصل وهو شاب يافع، وشاءت الأقدار أن يمر به ذات يوم أبو علي الفارسيّ (ت. 987/377) الذي أراد أن يُعلّمه عدم الاستعجال في تبوّء منابر التعليم، فسأله عن قضية في التصريف فاضطرب وهو يحتال اقتناص الجواب، مما جعل الفارسي يقول له: ما زلت حصرمًا وتريد أن تجعل من نفسك زبيبًا، وهذا ما دفع ابن جني أن يغدو تلميذًا يغرف من ينابيع الفارسي في الحلّ والسفر، قرابة أربعين سنة، ولم يعد إلى تصدر مجالس العلم إلا بعد وفاة الفارسيّ، وظلّ مرجع علوم العربية الأول في بغداد مكان معلمه الفارسيّ إلى أن وافته المنية سنة 1002/392 (ابن الأنباري، نزهة الألباء، 245/1).

يُعدّ ابن جني من أهم علماء اللغة عبر تاريخ العربية، وقد ساهمت عوامل عدّة في بناء شخصيته اللغوية المبدعة، فقد عاش في القرن الرابع الهجري وهو من أهم القرون في تاريخ نهضة العلوم في الدولة الإسلامية، وهذه الحقبة وفّرت لابن جني بيئة علمية مثمرة بفضل طبقة مهمة من العلماء الذين تتلمذ على يديهم أمثال الفارسي وابن مُقسِّم (ت. 966/355)، والذين عاصرهم أمثال أحمد بن فارس اللغوي المشهور صاحب مقاييس اللغة (ت. 1004/395)، وإسماعيل الجوهري صاحب معجم الصحاح (ت. 1002/393)، وأبو سعيد السيرافي (ت.

---

[3] يُنظر في حياة ابن جني: ابن الأنباري، أبو البركات: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1985م، ص244-246. القفطي، علي جمال الدين: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1982م، 335/2-340. السيوطي، جلال الدّين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان صيدا، د.ت.132/2. الذهبي، محمد شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985م،17/17-19. ابن خلكان، أبو العباس محمد: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، 1900م،246/3-248.

979/368)، وأبو هلال العسكري (ت. 1005/395)، وغيرهم كثير (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 1598/4).

وربما تكون حالة العور التي صاحبته منذ الطفولة دافعًا له ليغدو ذا شأن في العلم، فضلاً عن أعجميته التي صقلت شخصيته وموهبته (السامرائي، ابن جني النحوي، 1969م، 22-23). فغدا أكثر موضوعية في تناوله للّغة يغوص في فكرها ومنطقها، ولعل أغلب الأعاجم أمثال سيبويه (ت. 796/180) والفارسي (ت. 987/377) وابن جني والزمخشري (ت. 1143/538) كانوا أكثر براعة في تقنين قواعد اللغة، إذ نظروا إليها على أنها علم ذو ضوابط يتجاوز الاستعمالات الفردية، وهذا لا ينفي أو يتعارض مع الجوانب الأدبية الفنية التي تتراءى في ثنايا تحليلاتهم النحوية كما رأيناه عند ابن جني، فكثير من المبدعين عبر التاريخ حازوا شرَفي اللغة عقلها النحوي وروحها البلاغي.

أُختلف في المذهب النحوي الذي ينطوي تحته ابن جني، فقد ذهب كثيرون إلى أنّه بغدادي المذهب وهذا رأي شوقي ضيف، بسبب إقامته الطويلة في بغداد وتلمذته على يد أبي علي الفارسي (ضيف، المدارس النحوية، 265). لكن يبدو أنّه بصري المذهب وهذا رأي عدد كبير من الباحثين أبرزهم فاضل السّامرّائي، الذي يُنكر وجود مذهب للنحو سوى المذهبين البصري والكوفي (السامرائي، ابن جني النحوي، 245-347). وهناك إشارات كثيرة في كتبه تدل على بصريته، من ذلك ما قاله: "وذهب الكوفيون إلى....وليس الأمر عندنا نحن كذلك"، "فمذهب أصحابنا فيه وفي مثله....ومذهب البغداديين....، غير أنّ لأصحابنا ألا يقبلوا من اللغة إلا ما روي عن فصيح موثوق بعربيته"، وبما أنّه لم ينسب نفسه للكوفيين أو البغداديين فهذا يدل على أنّ المقصود بأصحابه هم البصريين (ابن جني، الخصائص، 9/1، 99/2، وغيرها).

يُعدُّ ابن جنّي ثاني عالم عبقري بعد الخليل (ت.786/170) نظر إلى اللغة نظرة شاملة، ليستخلص من أساليبها المختلفة قواعد أصولية لضبط سماعها، واستنباط عللها، ووضع مقاييسها، وبيان سماتها المميزة، وذلك بفضل الثروة اللغوية التي سبقته لا سيما جهود أستاذه الموسوعي أبي علي الفارسي، ونلمس ذلك في موسوعته اللغوية الخصائص، وفي كتبه الأخرى كسِرّ صناعة الإعراب.

ولم يكن ابن جني من النحاة الذين سبكوا فكرهم النحوي من منابع النحو الجافة فحسب، بل غذّى آراءه النحوية كثيرًا من رونق البلاغة وسحرها الأخّاذ، فقد كانت النظرة البلاغية الجمالية تُوجّهه مرارًا نحو الرأي النحوي الأسلم، وسنلمس ذلك في بحثنا هذا عندما نعرض بعضًا من تحليلاته النحوية وهو يتناول قضايا الحذف والرتبة، إذ يعتمد كثيرًا على الذوق البلاغي واللمسة الأدبية الفنية عندما يعتمد على رأي نحويٍ دون غيره.

3. أثر البلاغة في التحليل النحوي لظاهرة الحذف عند ابن جنّي

يتسم أسلوب ابن جنيّ مثل أغلب علماء اللغة غير العرب بالإسهاب والإطالة، مع الشرح والتكرار مبتعدًا عن أشكال الإيجاز والاختصار، وربّما يكون ابن جنيّ غير مُسلّمٍ تسليمًا تامًّا بمقولة البلاغة في الإيجاز، لأنّه لم يتبع هذا الأسلوب في معالجاته اللغوية، وأسلوبه الكتابي الذي يتميّز به، لذلك لا أظنّ أن يكون ابن جني من الذين تخلوا عن مبادئهم اللغوية التي مارسوها عمليًا، ويقفون بعد ذلك مصفقين لما يناقضها.

يدفعنا هذا إلى القول بأنّ ابن جني رغم حديثه الطويل عن الحذف في غير موضع، لم يصف هذه المواضع بالسحر وجمالية التعبير ويسهب كثيرًا في إطرائها، لكن هذا لا يعني أنّ ابن جني عندما تناول في كتبه ظاهرة الحذف أنكر سحرها البلاغي، فهو لا يمكن أن يُحارب فكرة

جوهرية خيّمت قرونًا على اللغة العربية تنظيرًا وتطبيقًا، لذلك كانت تلك اللمسة البلاغية حول الحذف حاضرة، لكن باعتدال موزون، وشكل فنيّ منضبط، مبتعدًا عن المبالغة والإفراط في الحديث عن مواطن البلاغة.

كما أنّه عندما يرى أنواعًا من الحذف المنغلقة التي لا يُفهم المراد الدقيق منها، لعدم وجود دليل قطعي على ماهية المحذوف، كان يكتفي بالنقل دون النقد أو التخطيء (ابن جني، الخصائص، 81/1)

ويشهد على إيمانه ببلاغة الحذف إيراده غير مرة عبارة قديمة مشهورة عن العرب، أوردها ابن عبد ربه: "رُبّ إشارة أبلغ من عبارة" (ابن جني، الخصائص، 81/1، 248، 286/2. ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1984م، 237/4). وهو قد أوردها تأييدًا لبعض حالات الحذف في سياقات شديدة الاختصار، استطاعت تلك العبارات أن تؤدي المعنى بإيجاز شديد.

وقد عدّ ابن جنيّ الحذف ضربًا من ضروب الشجاعة التي تميّز بها المتكلم العربي، فلو لم يمتلك المتكلم تلك الجسارة لما ركن إلى التغيير، بل سار على درب الكلام التقليدي الذي يخلو من روح التغيير، والحذف فيه تلك الشجاعة لما ينبض به من جمال التغيير والخروج عن المألوف، والابتعاد عن النمطية، إذ هو أصل من أصول جمال اللغة، الذي هو عمود من أعمدة البلاغة. لا سيما في لغة الشعر إذ الشعر انحرافٌ عن الكلام الإنسانيّ التقليدي، انحراف تتجاوز فيه الكلمات ويضغط بعضها على بعضه الآخر في تركيبٍ غير مألوف شكلاً ومضمونًا (أبو ديب، في الشعرية، 1987م، 139).

لكن يرى ابن جنيّ أنّ هذه الشجاعة ليست مطلقة بل مقيّدة، فهو يرى أنّ الحذف قائم على أساس وقانون ثابت لا يمكن تجاوزه، والسلوك اللغوي لكلّ من المتكلم والسامع منسجم مع هذا القانون، وهو وجود دليل على الحذف، معتبرًا غياب هذا الدليل نوعًا من علم الغيب الذي يستحيل معرفة المحذوف منه، (ابن جني، الخصائص، 368/2) لأنّ الحذف إذا افتقد الدليل أو القرينة يغدو قبيحًا عندئذ، كونه بذلك يفتقد وظيفته الفنية، بل إنّه يُصبح باعثًا على التعمية والغموض، لا وسيلة من وسائل الإيحاء والجمال الفنّيين (طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، 2004م، 106). ولم يضع ابن جنيّ ضوابط هذا الدليل بخلاف بعض النحاة، لكن تضييق الدليل بشرحه وتوضيحه يؤدي إلى عدم التوسّع فيه، وهذا يحدّ من ظاهرة الحذف ويجعل بلاغته مكبّلة، لذلك نرى من لم يوضّح المراد بالدليل كابن جنيّ جعل باب الحذف أرحب وأكثر جمالًا وبلاغةً.

يُعدُّ ابن جني أول من تناول ظاهرة الحذف بكافة مستوياتها اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية، متناولاً ظواهر حذف الحركة، والحرف، والكلمة، والجملة، ساعده على ذلك طبيعة كتابه الخصائص الذي لم يكن كتابًا تقليديًا يُحاكي الأعمال اللغوية التي سبقته، بل كان ثورة في فقه اللغة وفلسفتها، وأسرار العربية ووقائعها، هذا ما جعل تناوله لظاهرة الحذف يأخذ تقسيمًا علميًا أكاديميًا، متناولاً الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، ورغم هذا التقسيم العلمي الدقيق لم تكن معالجته لقضايا الحذف واحدة، فالحذف الصوتي والصرفي عقليّ منطقي، لكنّه عندما تناوله في الجوانب التركيبية أبرز سماته الجمالية كما سيظهر لنا عبر أمثلته التحليلية.

ولا يهمنا أن نسرد أنواع الحذف المتنوعة لديه وأقسامها، بقدر ما يهمنا توجيهه للحذف، والغايات التي تكمن وراءه، لا سيما الوجهات الجمالية البلاغية التي أثرت في الفكر النحوي لديه.

يظهر ابتداءً أنّ ابن جني قد وضع أُطرًا نظرية حول ماهية الإيجاز لم يُسبق لها من قبل، فهو يرى أنّ الإيجاز ينبغي أن يُراعى فيه مسألتين: الأولى أن يكون مفيدًا، وهذه القضية قد تناولها اللغويون من قبله وقرروها دون خلاف، أمّا الثانية فهي أن يكون الإيجاز مستقلاً بنفسه، لأنّ عدم الاستقلال يؤدّي إلى الإخلال بالمعنى، وهذا التوجه جديد لم يسبقه أحد إليه، وهو ينقد بشكل غير مباشر مذهب الرّماني الذي يرى قلة الحروف أساس حسن الإيجاز (ابن جني، الخصائص، 1/ 31).

إذًا ليس الإيجاز لديه يعتمد على الاختزال فحسب، بل لا بد لهذا الاختزال أن يمنح معنى دون الاتكال على السياق الذي وُضع فيه، ولذلك كثير من العبارات التي رآها عدد من النحاة ممثلةً لنموذج الإيجاز البليغ سفّه ابن جنّي من شأنها لأنّها ليست مستقلة بذاتها، نحو ما نقله عن سيبويه إذ قد قال بعضهم: (ألا فا) فيقول المجيب: (بلى فا)، والمراد ألا نفعل والجواب: بلى افعل (ابن جني، الخصائص، 1/31- 32).

ويظهر من رأي ابن جنيّ أنّ تأدية المعنى بشكل مستقل من لوازم الجملة العربية وهذه الميزة أهم من الاهتمام الشكلي الذي يُفضي إلى الاهتمام بعدد الكلمات دون الالتفات إلى الارتباط بالمعنى، لذلك يبدو لنا أنّ ابن جني لم يكن مثل أغلب النحاة الذين يجدون سلامة القواعد الشكلية أساس الجملة العربية، بل يرى أنّ المعنى أساس آخر لا يقل قيمة عن سلامة اللغة، وهذا الاهتمام بجودة المعنى نابع عن فهم لحقيقة اللغة المرتبطة بالبلاغة، التي مهمتها الائتلاف بين الشكل اللغوي ومضمونه المعنوي، وهذا ما يدفعنا إلى رؤية ابن جني من الذين يجعلون البلاغة مرآة تسطع على بقية علوم اللغة كالنحو وغيرها (ابن جني، الخصائص، 1/32- 33). فالأسلوب البلاغي يتجلّى بكونه إبداعًا نحويًّا خاصًّا يقترن فيه الجمال بالصّحة والإمتاع بالفائدة (طبل، المعنى في البلاغة العربية، 1998م، 90).

وقد عالج ابن جني ظاهرة الحذف في كتابيه الخصائص والمحتسب مرات كثيرة، لكننا سنقف عند الظواهر التي نراها قد تأثرت معالجتها بفكره البلاغي، أو كان للبلاغة دور في بناء الرأي النحوي.

تناول ابن جني ظواهر عدة في الحذف، وقد وقف كثيرًا عند ظاهرة حذف المضاف وبقاء المضاف إليه، ورأى أنّها أشبه بالرمل من شدة انتشارها في العربية، في القرآن والشعر وكلام العرب الفصيح، ومن شدة اتساع هذه الظاهرة واستساغة العرب لها أنّك تجد المضاف محذوفًا بعد مضافٍ آخر، نحو قوله تعالى: (فقبض قبضة من أثر الرسول) (طه: 96؛ ابن جني، الخصائص، 2/364؛ ابن جني، المحتسب، 1999م، 1/188). والتقدير: من تحت حافر أثر الرسول.

وسنلحظ ونحن نتناول ظاهرة الحذف لدى ابن جني مدى قدرة عقله التحليلية التي تُحلّل الظاهرة إلى أقصى ما تتحمله (السامرائي، ابن جني النحوي، 212). فيرى ابن جني أنّ هذه ظاهرة حذف المضاف وبقاء المضاف إليه قد وردت في القرآن قرابة ثلاثمئة مرة، ولا يمكن إحصاؤها في الشعر، ومن أمثلته التي استحسنها ابن جني ورأى بعض النحاة أنّها شنيعة لا تصح، قولك: ضربتُ زيدًا والمراد ضربت ابنه أو غلامه، وقد علل ذلك تعليلاً جماليًا نابعًا عن عمق الحياة، إذ رأى أنّك ضربك وإهانتك لابن زيد هو ضرب وإهانة له على وجه الحقيقة، وعلة ذلك عنده فهم المراد، فمتى فهم المقصود من كلام الإنسان فالتعبير المجازي القائم على الحذف جائز وهو أجمل، وإن لم يُفهم المراد فلا يجوز ذلك الحذف (ابن جني، الخصائص، 2/454). لكنّنا نرى صواب رأي ابن جنّي وروعة اختياره صحة هذا التعبير من وجهة فنّية، فهذا التعبير رغم كونه ورد في كلامٍ يوميّ لكنّه حمل كمًّا فنّيًّا هائلاً، فهو قائم على معيار نفسيّ، على حين

يقوم الكلام العلميّ أو غير الفنّي على معيار منطقيّ (الشمعة، الشمس والعنقاء، 1974م، 18). أو بتعبير آخر قد خرج هذا التعبير عن درجة الصفر التي هي لغة العلم أو الكلام العادي، أو لغة اللا فنّ. (يُنظر: بارت، الكتابة في درجة الصفر، 2002م، 10).

ويبدو أنّ ابن جني عندما يتناول ظاهرة الحذف لا يعمد إلى تحليل الظاهرة بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، بل تجده يولي اهتمامًا شديدًا بالسياق الذي أنتج هذا الحذف كما رأينا، ويؤيد ذلك تحليله لبعض الشواهد الشعرية التي حُذف منها المضاف وبقي المضاف إليه، وعنوان الباب الذي ورد فيه هذا التحليل يُنبئك عن مدى اهتمام ابن جني بالسياق، إذ يرد في: باب في جمع الأشباه، من حيث يُغمض الاشتباه، نحو قول الأعشى (الأعشى،2009م، 135، من قصيدة يمدح فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم):

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمِدَا وبتَّ كما بات السَّليمُ مسهَّدا

وقول شاعر آخر فيما روي عن ابن الأعربي[4]:

وطعنـــــة مســــــــتبســــــل ثائر ترد الكـــتيبـــة نصف النّهـــار

وقول رؤبة بن العجّاج (ت. 762/145)[5]:

وَلم يَضِعْ جارُكُم لَحمَ الوَضَمْ

وقوله أيضًا (ابن جني، الخصائص، 326/3):

حتّى إذا اصْطفُّوا له جدارا

ويرى ابن جني في هذه المواضع انتصاب الاسم على المصدر المحذوف المقدّر وليس على الظرف الظاهر الذي يُشتبه أن يكون هو سبب النصب، فتقدير البيت الأول: ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمد، وتقدير البيت الثاني: ترد الكتيبة مقدار مسيرة نصف النهار، وتقدير البيت الثالث: ضياع لحم الوضم، وتقدير البيت الأخير: اصطفوا له اصطفاف جدار وفي هذه الأمثلة جميعًا حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويرى ابن جني جواز أن يكون جدار حال بمعنى مثل جدار، أو منصوبًا على أنه خبر صار المحذوفة، أي صاروا جدارا، وتظهر اللمسة البلاغية في ترجيحه للوجه الإعرابي الذي يظهر فيه تأثره بروح البلاغة والجمال، إذ يرى أنّ الوجه الأول وهو حذف المضاف هو الأصح، لأنّ فيه تظهر براعة الصنعة وإنشاء الجملة العربية المنطوية على الذوق، وهو الوجه الأظهر لمتخصصي العربية (ابن جني، الخصائص، 325/3- 327). أو بعبارة أخرى نلحظ أنّ ابن جني أدرك مفهوم البلاغة الحقيقي، فهي علم لسانٍ كُلّي لا ينظر إلى جزئيات بعينها، بل يُمعن النّظر في كل مستويات اللغة (عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، ط5، 1995م، 158). وهذه النظرة الشمولية للغة من أبرز صفات ابن جنّي البحتيّة.

ورأى ابن جني حالة الاستغناء عن البدل مشابهةً تمامًا لحالة حذف المضاف عند فهم المراد، فقول الإنسان أكلت الطعام والمقصود بعضه أو جزء منه، تحمل شُحنة جمالية تفوق أسلوب استعمال بدل البعض من الكلّ، إذ فيها رسالة غير مباشرة من المتكلم إلى السامع توحي

---

4 (ابن قتيبة الدينوري، المعاني الكبير، ط1، 1984م، 976/2). ولم يذكر له قائل، ومعنى البيت: أنّهم إذا رأوا تلك الطعنة رجعوا يقولون قد طُعنوا هذا الطعن، فينهزمون نصف يوم.

5 لا يُعرف الشطر الثاني للبيت. (ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ط1، 2000م، 372/3).

بأنّه لجأ إلى هذا الأسلوب دون استعمال البدل الشارح لحقيقة الحال كونه يثق بذكاء السامع وفطنته لمعرفة مقدار ما أكل دون ذكر ذلك، ورأى ابن جني في قول أحدهم في البيت الآتي محاكاة لهذه الفكرة، فليس المقصود العباس بل ابنه عبد الله، والراجز حذف اسم عبدالله لأنّ السامع الفطن لن يخفى عليه هذا الحذف، يقول:

صبَّحن من كاظمة الخُصِّ الخرب يحملن عباس بن عبد المطلب

أي تحمل الخيل عبدالله بن عباس[6]، وهذه المعالجة لقضية حذف المضاف تسمح لنا بالقول إنّ ابن جني قد بنى رأيه النحوي في ظاهرة الحذف وفق نظرة جمالية بلاغية ترمي إلى تجميل العبارة، منطلقةً من إدراك السامع للمراد، وعدم استغلاق المعنى عليه، ثقةً منه بالمتلقي المُدرك لماهية البلاغة القولية، التي هي نشاط جمالي متبادل بين المتكلّم والمتلقيّ، وهي نتاجٌ لغويّ ثرّ وهبه الله لكلّ أطياف النّاس في كل زمانٍ ومكان، إذ "البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة، ولا على ملك دون سُوَقة، ولا على لسان دون لسان، بل هي مقسومة على أكثر الألسنة، فهي موجودة في كلام اليونان وكلام الفرس وكلام الهند وغيرهم، ولكنّها في العرب أكثر لكثرة تصرفها في النثر والنظم والخطب والكتب وهم أيضًا متفاوتون فيها، فقد يكون العبد بليغًا ولا يكون سيده، وتكون الأمَةُ بليغة ولا تكون ربَّتها، فالبلاغة قد تكون في أعراب البادية دون ملوكها وقد يحسنها الصبي والمرأة" (العسكري، رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، 1885م، 213-214).

وإذا مضينا متتبعين ابن جني في معالجاته لقضايا الحذف نجد عنده تعليلات جمالية ذوقية بلاغية لاختياره رأيًا نحويًا دون غيره، وهذا دليل على إيمانه بدور البلاغة الذوقي في اختيار الوجه النحوي الأسلم، من ذلك رأيه في قضية توكيد المحذوف، فقد ذهب ابن جني إلى عدم جواز ذلك، إذ رأى أنّه لا يجوز توكيد الهاء المحذوفة في قولك: الذي ضربتُ زيد، لأنّ الحذف جاء في موطن واضح مفهوم غايته تخفيف الكلمة وإيجاز العبارة، وتوكيد المحذوف يرمي إلى الإسهاب والإطالة، والذوق اللغوي يرفض أن تشتمل الجملة على نقيضين معًا، إيجاز من ناحية وإطالة من ناحية أخرى، وهذا الرأي النحوي منبعه الذوق البلاغي والحسّ الجمالي اللذين بُنيت اللغة العربية عليهما (ابن جني، الخصائص، 288/1). وبمعنى آخر لا يمكن الفصل بين اللغة وفلسفة الجمال، أي أنّ تكوين الجملة نحويًا مرتبط بتكوينها بلاغيًا (عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، 1994م، 362). وهذا ما يسعى البحث إلى إرساء دعائمه.

ويبدو أنّ قضايا الحذف قد أخذت حيزًا واضحًا من اهتمام ابن جني، لذلك نجده يعيد تناولها أكثر من مرة، ويقف هذه المرة عند مقولة مشهورة سُمعت عن العرب، وهي: راكب الناقة طليحان[7]، ويعمد إلى تحليل هذه العبارة معتمدًا على ذوقه البلاغي، ورؤيته الجمالية في اختيار الوجه النحوي الأسلم، فهو يرى في تأويل هذه المقولة المكثّفة التي يظهر بوضوح وجود الحذف فيها إلى أحد رأيين:

---

6 (ابن جني، الخصائص، 454/2). لا يُعرف قائله والبيت يتحدّث عن الإبل وكاظمة والحصن الخرب مكانان، أقدم مصدر روى هذا البيت هو الكامل في اللغة والأدب. (المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، 151/3). كما أورده ابن دريد في جمهرة اللغة، (ابن دريد، جمهرة اللغة، 1328/3)، لكنّ من سبق ابن جني لم يُشر إلى أسلوب الحذف وما انطوى عليه من جمالية، بل عدّ كثير من دارسي الأدب أنّ إيراد اسم مكان اسم دون شبهة أو التباس نوع من الضرورة الشعرية، وضرب على ذلك مثالاً هذا البيت. يُنظر: (القزّاز القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، د.ت، 320)، وكون بعض الدارسين يرى أنّ هذا الاستعمال ضرورة شعرية لا يُلغي أسلوب الحذف، فهناك سيلٌ من الضرورات الشعرية يقوم جوهرها على الحذف.

7 (ابن جني، الخصائص، 290/1). ومعنى طليحان: متعبان.

الأول: وجود معطوف محذوف، والتقدير: راكبُ الناقة والناقةُ طليحان[8].

والثاني: حذف حرف العطف مع المعطوف عليه، والتقدير: الناقةُ وراكبُ الناقةِ طليحان.

وقد ذهب إلى صحة الرأي الأول، إذ جاز حذف المعطوف لأنّه تقدّم ذكره وهو مدعاة إلى حذفه، وأكَّد ما ذهب إليه أنّ هذه الظاهرة كثيرة في كلام العرب تجدها في القرآن والشعر، نحو قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا")، (البقرة: 60). والتقدير: فضرب فانفجرت، ونجد اللمسة الذوقية في رفضه أن يكون المحذوف هو المعطوف عليه كما في الرأيّ الثاني، أي: الناقةُ وراكب الناقة طليحان، فقد رأى أنّ ذلك ممنوع لسببين:

السبب الأول: أنّ الحذف اتساع والاتساع موطنه وسط الجملة أو آخرها، لا صدرها ومطلعها، ذلك لأنّ الحذف شقيق الزيادة وهي نوع من الاتساع أيضًا، وهي لا تأتي إلا في منتصف الجملة أو آخرها، كونها حشو، والحشو أو زيادة الكلام إطالة، ولا يمكن أن تكون الاستفاضة في مطلع الكلام (ابن جني، الخصائص، 291/1).

أمّا سبب المنع الثاني: فيلزم من حذف المعطوف عليه حذف حرف العطف وبقاء المعطوف، نحو ما ذكره أبو عثمان عن أبي يزيد: أكلتُ لحمًا سمكًا تمرًا، وهذا شاذ لا يُقاس عليه، ووصفه ابن جنيّ بالندرة الشديدة وقد عرض مثالين من الشعر لهذه الحالة التركيبية، ورأى أنّهما قد يكونان المثالين الوحيدين لهذه الظاهرة (ابن جني، الخصائص، 291/1). ويبدو للمتتبع أنّ ظاهرة حذف العاطف قد وقعت موقع خلافٍ بين النحاة بعد عصر الاحتجاج، ووقعت عند معظمهم موقع الضرورة الشعرية، لندرة الأمثلـة التي وردت في المادة المسموعة المحتجّ بها، سواءٌ أكانت شعرية، نحو قول الحطيئة (الحطيئة، ديوان الحطيئة، 1958م، 128) :

إنّ امرأً رهطهُ بالشام، منزلُه برملِ يبْرين جارًا شدّ ما اغتربا

والتقدير: ومنزله[9]، أم كانت هذه المادة المسموعة من القرآن الكريم كما يرى بعضهم، نحو قولـه تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ﴾، (الغاشية: 8). أي ووجوهٌ عطفًا على ﴿وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ﴾، (الغاشية: 2). ويرى ابن هشام أنّه قد تقع تلك الشواهد في بدل الإضراب، وليست من باب حذف حرف العطف[10]، لكن من يتأمل تلك المادة المسموعة يشعر أنّ السياق الذي وردت فيه سياق عطف لا بدل. وهذا الرأيّ الذي لم يرق لابن جنيّ وابن هشام وقد سكت عنه المتقدمون كسيبويه وغيره، لاقى استحسان عددٍ كبير من المتأخرين، كونه قد شاع في لغة الأدب عند المحدثين (يُنظر: السّامرائي، معاني النحو، ط4، 2009م، 234/3).

---

8 وهذا ما ذهب إليه ابن مالك وابن هشام، وذُكر رأي آخر بأنّ هناك حذف للمضاف، والتقدير: راكب الناقة أحد طليحين، وقد ضعّف هذا الرأي ابن هشام. (ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، د.ت، 359/3؛ وابن هشام، مغني اللبيب، ط 6، 1985م، 853، 157؛ السيوطي، همع الهوامع، د.ت.401/1).

9 ومعنى البيت: ما أشدّ اغتراب ذلك المرأ الذي أهله بنواحي الشام وهو يستوطن نواحي نجد في منطقة رمل، وقد عنى الشاعر بالمرء نفسه.

10 (ابن هشام، مغني اللبيب، 831-832). أي: أكلتُ لحمًا بل سمكًا بل تمرًا، فالمأكول هو التمر فقط وما تقدّم أضرب عنه المتكلّم كونه أخطأ في ذكره.

ونجد ابن جنيّ في معالجة قضية حذف الموصوف وإقامة الصفة عوضًا عنه يُحاكي ما ذهب إليه في قضيتي توكيد المحذوف وحذف المعطوف[11]، إذ يلجأ إلى حسه الذوقي الجمالي في تعليله لعدم جواز حذف الموصوف، ويرى أنّ الأمثلة التي وردت في كلام العرب وقعت في الشعر أكثر من النثر، وهذا مدعاة لكونها ممّا يُتسامح به في الشعر ولا يُقاس عليه في النثر، ويُعلل ذلك بفهمه الدقيق لحقيقة الصفة ومهمتها الجوهرية، فهي ترد لغايات محددة كالتخصيص أو رفع شبهة ما، أو أنّها ترد في سياقي المدح والثناء، وهذه المهام سماتها الإطالة والإسهاب وليس الحذف والاختصار، لذلك يُعد الحذف تخفيف الكلام في هذا السياق غير لائق إطلاقًا (ابن جني، الخصائص، 292/1). لهذا يرى حازم القرطجنيّ أنّ البلاغة فنّ شديد التعقيد، أي: ليس بالميدان الهيّن السهل لا يُتأتّى بسهولة، فهي بحرٌ تستنفد عمر الإنسان وهو ما يزال يعبث على عُباب شُطآنها (القرطاجنيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط3، 1986م، 88). كونها علمٌ كُلّي يقتضي ضبطها الإحاطة بعلوم اللسان وعلوم الإنسان المُتداخلة في تكوين الذات المُنتجة للخطاب (القرطاجنيّ، منهاج البلغاء، 226-227)، بل كونها أدب لا يستطيع خوض غمارها إلا من وهبه الله ميزة الإبداع الأدبي الخلاّق.

ويعمد ابن جنيّ بعد ذلك إلى تحليل وجهة نظره عبر الأمثلة، فأنت إذا قُلت: مررت بطويل، لم يُفهم من كلامك أهو رجل أم رمح أم غيرهما، ولذلك كُلما أُستبهم الموصوف قبح حذفه لأنّك أوقعت السامع في حيرة من أمره، ولن يجد سبيلاً لمعرفة هذا الموصوف المحذوف (ابن جني، الخصائص، 292/1).

ويضع ابن جنّي بعد ذلك دليلاً أوضح في هذه المسألة، يجعل المتتبع لقضية حذف الموصوف يوقن قبح مسألة حذف الموصوف وبقاء صفته، إذ رأى أنّ هذه القضية صعبة المنال عندما تكون الصفة جملة، نحو: لقيتُ غلامًا وجهه حسنٌ، ومررْتُ برجلٍ قام أخوه، فلا يُستحسن مطلقًا أن تقول لقيُت وجهه حسنٌ، ومررْتُ بقام أخوه، إذ سيبدو أنّ هذه الجملة اسم علم على الحكاية، نحو اسم الشاعر الشهير تأبّطَ شرًّا فاسمه يتكوّن من فعل استتر فاعله ومفعول به، ولذلك وصف هذا الحذف بأنّه لا يحسن إطلاقًا (ابن جني، الخصائص، 369/2).

ولا يخفى على دارس اللغة أنّ ابن جنّي لا يُعبّر عن بلاغة أسلوبٍ ما إلا عن ذوقٍ وإدراك لجماليات التعابير العربية، لا عن جمود أسلوبيّ يجعل من البلاغة علمًا مُحنّطًا، كما حدث عند المتأخرين، لكنَّ الذي يؤسف أن يُنظر إلى هذا الجمود بعين الإبداع، فقد وصف عدد من الباحثين أعمال القزويني بأنّها خاتمة الإبداع والإتقان في البلاغة، إذ إنّ الذين تلوه لم يقدموا سوى شروح وتعليقات على أعمال القزويني (عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، د.ت، 13/3). أي أنّ هذه الدراسات كما يبدو لنا أشدّ حُلكةً في سواد الجمود، إذ عمّقت من منطقية البلاغة وعقلانيتها وتحجيرها عبر الزمن، إذ إنّ القزويني يُعدّ الشارح الأبرز والمُنظّم الدقيق لمدرسة البلاغة التعليمية، ولا يُمكن أن يوصف العمل في هذا الميدان بالإبداع.

ويظهر أنّ قضية حذف الموصوف وإنابة صفته عنه قضية خلافية عند النحاة، لم يشر إليها سيبويه رغم وجود أبيات من الشعر في كتابه قد حُذف منها الموصوف ونابت الصفة عنه (السيرافي، شرح أبيات سيبويه، 1974م، 70/2، 120). وذكرها المبرد دون إعطاء حكم تقييمي لها (المبرّد، المقتضب، ط1، 1994م،42/1). ودخلت بعد ذلك حيّز خلافٍ بين النحاة، اعتبرها

11 إذ لم يجز توكيد الهاء المحذوفة في قولنا: الذي ضربت زيدًا حتّى لا يقع المتكلم في تناقض عندما يعمد إلى إيجاز وإطالة معًا كما مرّ آنفًا، بينما أجاز حذف المعطوف للإيجاز كونه ذُكر سابقًا، كما مرّ معنا في قول العرب: راكبُ الناقةِ طليحان.

بعضهم حالة خاصة في الشعر إذ هي ضرورة شعرية لا تصح في النثر، ولا يُقاس عليها وهذا رأي ابن جني[12]، وهناك من النحاة قد رآها جائزة مطلقًا لكثرة الشواهد التي وردت فيها هذه الظاهرة حتّى أنّها بلغت برأيهم درجة الاطّراد (ابن الوراق، علل النحو، ط1، 1999م، 338؛ السيرافي، شرح أبيات سيبويه، 70/2). ومنهم من رآها جائزة في الصفة المفردة دون الجملة وشبه الجملة،[13] وبعضهم وضع لها شروطًا حتى تجوز، كأنن يصحّ المعنى بالاكتفاء بالصّفة، وهذا رأي الزمخشريّ.[14] ويرى المراديّ: أنّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه يكثر عندما يتحقق شرطان، الأول: أن يُعلم جنس المنعوت بالاختصاص، نحو: مررتُ بكاتبٍ، أي: رجل كاتب، أو بمصاحبة ما يعنيه، نحو: "أن اعمل سابغاتٍ" أي دروعٍ سابغات، والثاني: أن يكون صالحًا لمباشرة العامل لذلك لا تصلح الجملة ولا شبه الجملة (المرادي، توضيح المقاصد والمسالك، ط1، 2008م، 964/2).

ويبدو لنا أنّ ظاهرة حذف الموصوف جائزة في الموصوف المفرد شعرًا ونثرًا لكثرة الأمثلة الواردة في ذلك، وجائزة في الموصوف الذي صفته جملة أو شبه جملة في الشعر دون النثر، لندرة الشواهد من ناحية، ولأنّ لغة الشعر لها خصائصها التي تميزها عن لغة النثر، إذ إنّ دواعي الحذف تبرز بصفة عامة في الأعمال الشعرية، حتى لا يؤثر حشد الألفاظ على الشحنة الانفعالية التي يريد الأديب إيصالها إلى المتلقّي (راغب، عناصر البلاغة الأدبية، 2003م، 36). ويُشترط أن يكون الموصوف واضحًا غير مبهم في جميع حالات حذفه.

4. أثر البلاغة في التحليل النحوي لقضايا الرتبة عند ابن جنيّ

يظهر لمن يتتبع ظاهرة التقديم والتأخير في التراث اللغوي يجد أنّها أخذت عناية بالغة الأهمية عند سيبويه ، وما خطّه حول هذه النظرية ترك أثرًا كبيرًا في البلاغة العربية، وأَثَرَ البلاغة في النحو أيضًا، فهو قد رأى أنّ العرب كأنّهم يُقدّمون الذي بيانه أهم لهم، رغم أنّ كلاهما أي: المُتقدِّم والمُتأخّر يهمانهم ويعنيانهم (سيبويه، الكتاب، 1988م، 34/1). إلى غير ذلك من ملاحظات بلاغية دقيقة حول قضية الرتبة، لكنّ ما ذهب إليه سيبويه لم يَرُق النحاة من بعده فلم نجد له أثرًا عند علماء عُرفوا بطول باعهم في النحو والبلاغة على حدّ سواء كالفراء (ت.822/207) والمبرّد (ت.900/286)، وكذلك الرّمّاني (ت.909/296) الذي لم يشر إلى قضية التقديم والتأخير أي إشارة في كتابه النّكت في إعجاز القرآن، وهو من أوائل الكتب التي أُفردت للعناية بالبلاغة، بل إنّ ابن السّراج (ت.929/316) قد عقد بابًا في كتابه الأصول أسماه (التقديم والتأخير) إذ كان أوّل من أفرد بابًا خاصًا لهذا الموضوع عند القدماء، لكنّه اكتفى بالحديث عمّا يجوز فيه التقديم والتأخير وما لا يجوز فيه ذلك، ولم يقف إطلاقًا عند فوائد هذا الأسلوب التركيبي أو بيان أسراره (ابن السراج، الأصول، 2016م، 222/2-246). وهذا الأمر لا يُثير استغرابنا كون ابن السّراج نحوي بعيد كلّ البعد عن البلاغة ومسالكها، ومِمّا يُثير استغرابنا أنّ أولئك النحاة الذين لم يتابعوا سيبويه ويؤيّدون مقولاته أو يُضيفون أشياء عليها، بالمقابل لم ينتقدوه أو يُنكروا تلك المقولات النحوية البلاغية.

---

12 (ابن الأنباري، الإنصاف، ط1، 2003م،276/1). واعتبرها العكبري حتى في الشعر شاذة لا يُقاس عليها. (العكبري، اللباب، ط1، 1995م، 349/1).

13 فقد عدّ السيوطي من خواص الاسم جواز حذفه عندما يكون موصوفًا، ولا يجوز ذلك في الصفة الجملة، (السيوطي، همع الهوامع، 27/1).

14 (الزمخشري، المفصل، 1993م، 152/1). ويرى ابن هشام جواز حذف الموصوف إذا عُلم، وجوّز حذف الموصوف الذي صفته جملة في الشعر دون النثر. (ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 212، 429، 787).

ثم جاء ابن جنيّ، ومن قبله أستاذه أبو عليّ الفارسي، اللذَين أعادا قضية التقديم والتأخير إلى منصّة الفكر النحوي، وناقشا آراء سيبويه تفنيدًا وتحليلاً، وسنرى كيف مرّ ابن جنيّ في أبحاثه حول التقديم والتأخير بتطور ملحوظ، وانحراف شديد في فكره ونتائجه التي ذهب إليها، إذ إنّ منطلقاته النظرية والتحليلية التي ذهب إليها أولاً في كتابه (الخصائص)، تُناقض تمامًا ما ذهب إليه فيما بعد عندما طرحها ثانيًا في كتابه التالي في الزمن (المحتسب).

فقد نقل ابن جنيّ في كتابه الخصائص رأي شيخه أبي علي الفارسيّ حول بلاغة التقديم والتأخير، إذ رأى الفارسيّ -وتابعه ابن جنيّ مؤيدًا لرأيه وشارحًا له- أنّ التقديم والتأخير لا ينمّ عن أي قيمة بلاغية، وقد رفضا نتائج سيبويه في هذا الميدان شكلاً ومضمونًا، فالعرب لا تُقدّم الأهم والمعتنى به، ولا ترمي إلى تنبيه المخاطب في إجراءات التقديم، مثل ما رأى سيبويه.[15]

إذ يدّعي الفارسي وابن جنّيّ أنّ المفعول به قد شاع تقديمه عند العرب، وقد غدا ذلك على نحو مطّرد لا خلاف فيه عندهم، وهو شائع بكثرة في القرآن الكريم، والشعر، وفصيح الكلام، دون استنكار من أحد، لذلك يكون المتكلّم بالخيار أن يُقدّم الفاعل أو المفعول به، فمن يقدّم المفعول به على الفاعل لا يُخرج المفعول به عن موضعه الحقيقي الطبيعي، إذ كلاهما من حقهما التقدم أو التأخر، دون غاية أو فائدة، وإن كان تقدّم الفاعل أكثر مجيئًا واستعمالاً (ابن جني، الخصائص، 298/1).

ويبدو أنّ الفارسيّ قد ذهب إلى هذا الرأي وتابعه فيه ابن جنيّ لأسباب عديدة، نوجزها فيما يلي:

- تفرّد سيبويه في بلاغة التقديم والتأخير، فلم يتابعه في ذلك أحد من النحاة، بل لاقت ظاهرة التقديم والتأخير حملة شعواء عند النقاد العرب الذين اعتنوا بالجوانب البلاغية، أمثال ابن طباطبا (ابن طباطبا، عيار الشعر، د.ت، 72). وابن المدبّر (ابن المدبر، الرسالة العذراء، 1931م، 20). الذين رأوا أن التقديم والتأخير، ضرورة شعرية قد تمزّق أوصال الكلام، ولا ينبغي محاكاتها في النثر.

- لم يُعرف عن الفارسيّ في كتاباته أي بعدٍ جماليّ أو بلاغيّ، وهذا ما جعله غارقًا في جفاء النحو، يُصمّ أذنيه عن نداءات البلاغة وما فيها من جمال، مناقضًا سيبويه الذي يُعدّ بحقّ واضع اللبنة الأولى في بلاغة المعاني ونظرية النّظم، وتأثُّر ابن جنّي الشديد بأستاذه جعله يُتابعه في منطلقاته تلك، لكنّ فكره حدث فيه انقلاب نوعيّ حول قضية التقديم والتأخير في كتابه المحتسب، ذلك أنّ ابن جنيّ يختلف عن أستاذه، إذ نمت البلاغة لديه وتطوّرت عبر الزمن، وله فيها صولات وجولات.

- تخبط النّحاة في مصادر اللغة التي يستقرئون منها قواعدهم ساهم في حالة الخلاف هذه وعدم الاستقرار على فكر واحد، فقد جعل النحاة رأس الهرم في اللغة التي يُقعّدون عليها الشعر، وإذا سلّمنا بصحة نسبة الأشعار لقائليها وخلوّها من النحل والتحريف، فإنّ الشعر محكوم بطبيعة الوزن والقافية، والحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر، وظروف عدّة تتدخل في القصيدة، بخلاف النثر وعلى رأسه القرآن الكريم الذي لا يحتوي على مؤثرات خارجية أو شعورية، وهذا يجعله أجدر وأحق بمرات من الشعر في تلك الأولوية، لذلك كلما واجهتهم معضلة في لغة الشعر جاء الحلّ من بوابة الضرورة الشعرية التي قد تكون مقبولة حينًا ومرفوضة حينًا آخر، وهذا ما

[15] لم أجد رأي الفارسيّ في آثاره المطبوعة، إنّما أخذنا رأيه نقلاً عن ابن جنّيّ. يُنظر: (ابن جني، الخصائص، 299/1).

ذهب إليه الفارسيّ وابن جنيّ وعدد من النقاد كما رأينا. لكنّ لغة الشعر تتميز عن لغة النثر، ولا غرابة أن نرى في ترتيب كلمات الشعر أمرًا غير مألوفٍ أو معهود، وهو لا يصلُ عادةً إلى كمٍّ يسمح للشعر أن يصبح ذا كيانٍ مستقلٍّ عن نظام النثر في التعابير والتراكيب، بل يشترك مع نظام النثر حينًا ويفرُّ منه حينًا آخر دون أن يعمد الشاعر إلى مثل هذا الخروج عمدًا، أو يلتمسه قصدًا، بل يرد في نظمه وهو لا يكاد يشعر بوروده (أنيس، من أسرار اللغة، 1978م، 323). ولهذا علينا أن نطوّر من قراءتنا للشعر، وأن ندرك معنى البلاغة الحقيقي الذي هو تذوّقٌ جمالي، ينبغي أن يدخل في جملة مقاييسنا التي نقوّم بها الإنتاج الأدبي والفني (المبارك، الموجز، 1981م، 13).

- ولا يمكن أن نجعل الشعر سيّدًا نستمد من لغته مصادر التقعيد، ونهمل في ذات الوقت مراعاة الحالة النفسية للشاعر، الذي يُقدّم ويؤخر ويحذف بحسب ما يجول في أعماق وجدانه، وهذه النظرة التي تبنتها مدرسة علم اللغة النفسي أدركها سيبويه قبل قرون عدّة، ولم يسر على دربه من تبعه من نحاة أمثال الفارسيّ.

ويظهر أنّ ابن جنيّ الذي امتلك من أدوات البلاغة وجمال اللغة لم يعد أسير نظرة أستاذه الجامدة التي ترى في النحو علمًا صارمًا لا يخرج عن منظومة الصواب والخطأ، فقد حدثت ثورة في فكر ابن جنيّ تجاه قضية التقديم والتأخير عندما عالجها في كتابه المحتسب، إذ إنّه يذهل المتلقّي بوعيه الجمالي تجاه قضية التقديم والتأخير، ويسحر لُبّه بإبداعاته البلاغية التي توصّل إليها، ووجّهت فكره النحويّ إلى أُفق أوسع ممّا كانت عليه.

فقد اهتمّ ابن جنّي بمباحث التقديم والتأخير في كتابه المحتسب لا سيما مظاهر تقديم المفعول به، مبيّنًا الأسرار الجمالية التي يكتنزها هذا التقديم، وقد وصل إلى نتائج غير مسبوقة ولم يترك لمن يأتي بعده أن يدلي بدلوه في هذا الميدان.

يرى ابن جنيّ أنّ العرب قد وجّهت اهتمامها بالفضلة لما لها من دور فعّال في بناء الجملة وتغير دلالاتها، ولم تبلغ أي فضلة في العربية من الاهتمام ما ناله المفعول به، إذ إنّه كما يرى ابن جنّي لا يتقدّم فحسب، بل يُحذف الفاعل ويسند الفعل إليه مباشرة (ابن جني، المحتسب، 65/1).

ويوقن ابن جنيّ أنّ هذا الكلام دقيق ويحتاج إلى مزيد من التفصيل، وهذا ما جعله يُفنّد وجوه تقديم وتأخير المفعول به، فالمفعول به في حقيقة وضعه فضلة محلّه أن يلي الفاعل، مثل: ضرب زيدٌ عَمرًا فإذا عناهم ذكر المفعول به قدّموه على الفاعل، فيقولون: ضرب عمرًا زيدٌ، فإذا زادت أهميته لديهم قدّموه على الفعل العامل في نصبه، فتغدو الجملة: عَمرًا ضرب زيدٌ، فإذا وصل درجة أعلى من الأهمية غدا هو رب الجملة وعمدتها ونزعوا عنه الاتصاف بالفضلة، فتصبح الجملة: عمرو ضربه زيدٌ، فإن كانت هذه الأهمية قد تضاعفت مرارًا ممّا هي عليه حذفوا ضمير النصب العائد عليه، لتُنفى عنه صفة الفضلة تمامًا ولا يتوهم بتاتًا أنّ غيره صاحب الجملة، فتغدو الجملة: عمروٌ ضرب زيدٌ، ولا تقف أهمية المفعول به عند هذه المنزلة، بل لشدة أهميته صيغ الفعل لأجله، وبُني على أنّه مخصوص به، وأُلغي كلّ مظهر للفاعل سواء أكان ظاهرًا أو مضمرًا، فغدا التركيب: ضُرب عمرو، بل إنّهم أسندوا بعض الأفعال إلى المفعول به دون الفاعل بشكل مطلق، إذ يقول العرب: ثُلِج فؤاد الرّجل، ولا يقولون مطلقًا ثلجه كذا (ابن جني، المحتسب، 65/1).

وهكذا نرى أنّ ابن جنّي تراجع عن انتقاد سيبويه بأنّ التقديم والتأخير لا ينمّ عن بلاغة، وبنى فكره البلاغي في التقديم والتأخير على نتائج سيبويه بأنّ العرب تُقدّم الأهم، وأسس بناء على ذلك أنّ المفعول به تعلو درجة الاهتمام به وتنخفض، وعلى ضوء درجة الاهتمام هذه يتغير موضعه من الجملة، ويتغير موقعه الإعرابي، بل ويتغير بناء الجملة من أجله.

ويظهر لنا أنّ البلاغة لا تنتقي الوجه النحوي الذي يخدم المعنى ويمنح التركيب جمالاً وألقًا فحسب، بل تتحكّم بصياغة التركيب النحوي، وتوجّه المتكلّم نحو صياغة لغوية نحوية تُجلي المعاني برونق بديع دون الحاجة إلى شروح وتفصيلات تُلغي خاصية الجمال في بناء اللغة العربية. وهذا ما جعل للتقديم والتأخير أهمية كبرى في دراسة التركيب العربي، ذلك أنّه دراسة للأسلوب نفسه أكثر منه دراسةً للتركيب النحوي، وهذا يؤدي إلى الاهتمام الواضح بما يمكن للغة بتنظيمها داخل النّسق من أن تحمله من مشاعر (معلوف، حيوية اللغة، 1996م، 305). وهذه الرؤية للتقديم والتأخير جعلت الأسلوبيين المعاصرين يعدّونه ضربًا من المجاز الأسلوبي (معلوف، حيوية اللغة، 283). على حين لم ينظر إليه البلاغيون القدماء على أنّه نوع من أنواع المجاز، ذلك أنّ المجاز نقل ما وُضع له إلى ما لم يوضع (الزركشي، البرهان، 1957م، 233/3).

أدرك ابن جنّي أنّ التقديم والتأخير باب تتبارى فيه الأساليب، وتظهر فيه المواهب والقدرات، وهو دلالة على التّمكّن في الفصاحة، وحُسن التّصرّف في الكلام، ووضعه الوضع الذي يقتضيه المعنى (مطلوب، البلاغة والتطبيق، 1999م، 144). وهذا ما جعل ابن جنيّ لا يقف في حديثه عن رتبة المفعول به في المواطن المتفق عليها عند جمهور النحاة، بل خطى خطوة غير مسبوقة عندما عرّج على ظاهرة تخرج على قواعد العربية في قضية رتبة المفعول به، وهذا ما يتجنبه البلاغيون عادة بل ينظرون إلى أمثال هذه المواضع نظرة تخرجها من حيّز البلاغة، وهذا ما خطّأه ابن جنّي ليفتح الباب على مصراعيه أمام غير المطّرد ليُنظر إليه بعين الجمال والإبداع.

فقد وقف عند قضية عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة خلال حديثه عن رتبة المفعول به، إذ إنّ ضمير الغيبة لا بدَ له من مرجع يعود إليه، وهو قد يكون اسمًا سبقه في اللفظ،[16] وهو الأصل، مثل: زيدٌ أكرمتُهُ، أو يكون متأخّرًا عنه لفظًا متقدمًا عليه رتبةً[17] مثل: أكرم صديقَه زيدٌ فالهاء تعود إلى زيد المتأخر لفظًا، وهو في نية التقديم باعتبار رتبته لأنّه فاعل، ولا يجوز عند جمهور النّحاة أن يعود الضمير المتصل بالفاعل على المفعول به المتأخر عنه، نحو: أكرم صديقُهُ زيدًا، لئلا يلزم عود الضمير على متأخرٍ لفظًا ورتبةً (ابن جني، المحتسب 66/1) وقد ورد كثيرًا في الشعر، نحو قول النابغة[18] (النابغة الذبياني، الديوان، 1996م، 161) :

جزى ربه عني عدي بن حاتم　　جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ونحو قول حسان بن ثابت:[19]

ولو أنّ مجدًا أخلدَ الدّهر واحدًا　　من النّاسِ، أبقى مجدُهُ الدّهرَ مُطعِما

وقول أحدهم:[20]

---

16 لأنّه قد يعود على غير مذكورٍ معروفٍ من المقام.

17 للتوسع في المواضع التي يعود الضمير فيها على ما تأخر لفظًا ورتبةً، يُنظر: (ابن هشام، مغني اللبيب، 635-641).

18 وقيل بأنّ البيت لأبي الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي، وقيل بأنّ البيت لا يُعرف قائله، وهو عند بعضهم مولّد، يُنظر: (ابن جني، الخصائص، 295/1).

19 (ابن هشام، مغني اللبيب، 639). وهو في ديوان حسان بن ثابت في قصيدةٍ يرثي بها المطعم بن عدي برواية:
فلو كان مجدٌ يُخلِدُ اليومَ واحدًا　　من النّاسِ أبقى مجدُهُ اليومَ مُطعِما
حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، 1974م، 199/1.

كسا حلمُه ذا الحلمِ أثوابَ سؤددٍ ورقَّى نداهُ ذا النّدى في ذُرى المجدِ

فيُعدّ ضرورة شعرية وإذا أُجيزتْ في الشعر فقد منعها الجمهور في النثر (ابن هشام، مغني اللبيب، 639). وقد خالف في ذلك ابن جنّي، وقبله أبو الحسن الأخفش (ت.215/ 830)، وسار على دربهما ابن مالك (ت. 672/ 1274)، وأبو حيان الأندلسي (ت. 745/ 1344)، (الأزهري، شرح التصريح، 200م، 416/1). ويمتنع بالإجماع نحو: "صاحبها في الدار"، لاتصال الضمير بغير الفاعل (الأزهري، شرح التصريح،640/1). هذا فيما يتعلّق في الضمير الذي يرتبط بين الفاعل والمفعول به، أمّا ما عدا ذلك فإنّ الضمير يجب أن يعود على سابقٍ محدّد مرتبطٍ بالسياق، ولا يجوز أن يعود على متأخّرٍ بحسب اطّلاعنا.

وإذا كان أبو سفيان قد سبق ابن جنّي في جواز ذلك، فإنّ ابن جنيّ قد بنى رأيه هذا وفق وجهة نظر جمالية بلاغية، وهذه النظرة لم نجدها عند ابن مالك وأبو حيّان (السيوطي، همع الهوامع، 266/1). فابن جني يرى أنّ الأمر يتعلق في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام، وهو برأيه متعارَف عليه غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له، حتى إنه إذا أُخِّر فموضعه التقديم، فعلى ذلك كأنه قال: جزى عديَّ بن حاتم ربُّه، ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدمًا عليه مفعوله فجاز ذلك، ويرى ابن جنّي أنّ المتلقّي لن يقتنع بحجّته تأثّرًا بجمهور النحويين قبله، لذلك يدعو القارئ ألاّ يستنكر هذا التقديم وهذا التعليل الذي صوره للمتلّقي، ولا ينبغي أن يراه جافًّا، لأنّه مما تقبله هذه اللغة ولا تعافه ولا تتبشعه (ابن جني، الخصائص، 298/1). ولو سلك النحاة -الذين جعلوا الشعر موردهم الأساس- درب فهْم حقيقة الشعر وجماليات بنائه لفهموا سر كثرة التقديم والتأخير فيه، إذ هو ليس ضرورة يمتطيها الشاعر ليصل إلى مبتغاه، بل هو يندفع إلى اختياره من ضمن احتمالات لغوية عدة دون غيره، لإحساسه بقدرته على نقل تجربته (الداية، جماليات الأسلوب، 1982م، 43). لكنّ النظرة الجمالية نحو غير المطّرد ظلت مدار اختلاف قديمًا وحديثًا، فإذا كان بعضهم قد انضمّ إلى ابن جنّي فيما ذهب إليه، فهناك طائفة ترى أنّ اللغة الفنية لن تُخالف القواعد الأصلية بأيّ حال، وإلا كانت غير مقبولة إطلاقًا (عيّاد، اللغة والإبداع، 1988م، 83).

ونمضي الآن للحديث عن مفهومي الفصل والاعتراض، ودورهما في ترتيب عناصر الجملة، فقد ذكرنا أنّ النحاة الأقدمين لم يحددوا مصطلح الفصل واستعمالاته، وإن كانوا قد أشاروا إليه بشكل غير مباشر، بينما مصطلح الاعتراض قد حددوه، وأحصوا حالاته.

ويُعدّ ابن جنّي أول من استعمل هذين المصطلحين، ووازن بينهما، وبيّن رأيه النحوي فيهما بناءً على آثارهما البلاغية، فقد أطلق مصطلح الفصل عندما وجد فاصلاً بين قد والفعل الذي يليها، وهذا الفاصل ليس أجنبيًا عن السياق بمجمله، بل المعنى يرتبط به ارتباطًا وثيقًا، نحو قول الشاعر:

فقد والشَّكُّ بيَّن لي عناءٌ بوشك فراقهم صُرْدٌ يصيح

إذ إنّه أراد: فقد بيَّن لي صُرْدٌ يصيح بوشك فراقهم والشَّكُّ عناء، فقد تعددت الفصول التي لا وجه نحويًا صحيحًا لها ولا لشيء منها، ويرى أنّ أمثال هذا الفصل يتصف بالقبح والغرابة والفحش، ولا يقبل من المولدين حتى يُقبل من العرب الأفذاذ، إذًا فابن جني قد رفض

[20] (ابن هشام، مغني اللبيب، 639). ولم يسمِّ ابن هشام قائله، ولم أجده إلا في شرح ابن عقيل، يُنظر: (ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 495/1).

السماح بالفصل بين المتلازمات مثل (قد) والفعل الذي يليها بمفردة أو أكثر، بناء على ذوقه البلاغي وحسه الجمالي، فضلاً عن ندرة هذه الضرائر الشعرية غير المقبولة.[21]

وبعد أن يعرض ابن جني لبعض مظاهر الفصل، ويبين رأيه النحوي فيها الرافض لها شكلاً ومضمونًا لما فيها من بعد عن جمال اللغة وبلاغتها، يعرض بعضًا لمظاهر الاعتراض، التي تأتي فيه جملة اعتراضية كاملة بين متلازمين، ويبين أنّها مقبولة وتتسم بالفصاحة والجمال، وهي كثيرة في القرآن الكريم، وتحوي كثيرًا من أسرار التقديم والتأخير، من ذلك الاعتراض بين الفعل والفاعل، نحو قول الشاعر.[22]:

وقد أدركتْني والحوادثُ جمَّةٌ أسِنَّةُ قومٍ لا ضعافَ ولا عزل

وقد وصف ابن جني هذا الاعتراض وأمثاله بالكثير والحسن، حتى إنّه قد أفرد له بابًا كاملاً في كتابه الخصائص (ابن جني، الخصائص، 332/1، و337؛ وابن جني، سر صناعة الإعراب، 2000م، 150/1).

وهكذا يظهر لنا أنّ مباحث الرتبة بدأت تنمو وتتطور على يدي ابن جنّي ولم يعد يُنظر إليها أنّها ضرورة شعرية، أو أسلوب مستهجن، أو لا قيمة جمالية يمتلكها التركيب بسببها، بل أصبحت مباحث التقديم والتأخير يتبوّأ مكانًا مرموقًا، إذ أدرك النقاد والبلاغيون أهمية ما يقوم به في الكلام الأدبي من علاقات، تُعدّ هذه العلاقات على وجه الحقيقة صُلب ما في الأدب من أدبية (ويس، جماليات التقديم والتأخير، 1998م، 280).

5. الخاتمة وأهم النتائج

- يظهر لنا أن الأثر البلاغي في التحليل النحوي عرف طريقه إلى فكر النحاة وكتبهم منذ سيبويه، لكنه لم يكن بالزخم الكافي رغم أهمية البلاغة في الصياغة التركيبية.

- رأينا أنَّ أسلوب ابن جني في تحليل النحو تأثر بالبلاغة الأدبية الفنية، لكنَّ هذا التأثر لم يكن عشوائيًا بل بدأ أنه يتسم بالعقلانية التي تَميز معنى الجمال ولا تندفع وراءه دون انضباط، وهذه سمة اللغوي المفكر عندما يخوض غمار البلاغة.

- ظهر لنا عبر هذا البحث أنّ التحليل النحوي عند ابن جني لم يكن تقليديًا أو هامشيًا، بل كان تحليلاً عميقًا، يقترن بالحجة العقلية المنطقية والحسّ الذوقي المرهف، وهذا ما جعل البلاغة حاضرة في كثير من تحليلاته النحوية.

- اتّضح لنا أنّ القضايا النحوية التي عمد ابن جنّي إلى تحليلها تُعدّ قضايا تركيبية ليست إعرابية، والقضايا التركيبة روح النحو الذي نزعها عنه كثير من النحاة القدماء والمحدثون ظنًا منهم أنّ النحو لا يجود إلا بالقضايا الإعرابية التي تندرج تحت مفاهيم الصواب والخطأ في ضبط الحركات الإعرابية.

- حاول البحث أن يُسلّط الضوء على ضرورة مزج الدراسات النحوية بالبلاغية والعكس كذلك، إذ إنّ العُزلة بين هذين العلمين جعلت الدراسات النحوية تتصف بالجمود والخلو من الرّونق والجمال لبعد البلاغة عنها، كما غدت الدراسات البلاغية تعليمية ساذجة لا تفقه معنى

---

[21] (ابن جني، الخصائص، 331/1، و392/2). كذلك قدم قوله: "بوشك فراقهم"، وهو معمول "يصيح" و"يصيح" صفة لصرد على صرد، وذلك قبيح. (ابن الأثير، المثل السائر، 180/2).

[22] ذكر ابن عبد ربه أنّ البيت من قصيدة لحنظلة المأمون بن شيبان، (ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1984م، 46/6).

الجمال الحقيقي النابع من الأدبية المُستخلصة من الصياغة التركيبية الفنّية في أرقى أشكالها التعبيرية.

المصادر والمراجع

ابن الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م.

ابن الأنباري، أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1985م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1999م.

ابن خلكان، أبو العباس محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، 1900م.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السّري، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 2016م.

ابن سيده المرسي، علي أبو الحسن، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

ابن طباطبا، محمد أبو الحسن، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1984م.

ابن قتيبة الدينوري، عبدالله أبو محمد: المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: سالم الكرنكوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1984م.

ابن المدبر، إبراهيم، الرسالة العذراء، تحقيق: زكي مبارك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1931م.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، د.ت.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن مبارك وعلي حمدالله، دار الفكر، بيروت، ط 6، 1985م.

ابن الوراق، محمد أبو الحسن، علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م.

أبو ديب، كمال، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م.

الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 200م.

الأعشى، ميمون بن قيس، الديوان، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة، 2009م.

أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978م.

بارت، رولان، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، ط1، 2002م.

حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974م.

الحطيئة، جرول بن أوس، ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان طه، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1958م.

الخطيب البغدادي، أحمد أبو بكر، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

الداية، فايز، جماليات الأسلوب (2)، دراسة تحليلية للتركيب اللغوي، منشورات جامعة حلب، ط 1، 1982م.

الذهبي، محمد شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985م.

راغب، نبيل، عناصر البلاغة الأدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م.

الزركشي، محمد بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، ط1، 1957م.

الزمخشري، محمود أبو القاسم، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.

السامرائي، فاضل صالح، ابن جني النحوي، دار النذير، بغداد، 1969م.

السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمّان، ط4، 2009م.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.

السيرافي، الحسن أبو سعيد، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1974م.

السيوطي، جلال الدّين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان صيدا، د.ت.

السيوطي، جلال الدّين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

الشمعة، خلدون، الشمس والعنقاء، دراسة نقدية في المنهجوالنظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1974م.

ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، د.ت.

طبل، حسن، علم المعاني في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط2، 2004م.

طبل، حسن، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م.

عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1994م.

العسكري، أبو هلال الحسن، رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، مطبوعة ضمن مجموعة التحفة البهية والبهجة السنية، مطبعة الجوائب، إستنبول، 1885م.

عصفور، جابر، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط5، 1995م.

العكبري، أبو البقاء عبدالله، اللباب في علل البناء والإعراب تحقيق: عبد الإله النبهان الناشر، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م.

عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.

القرطاجنيّ، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م.

القزّاز القيرواني، محمد، ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق: رمضان عبد التواب وغيره، دار العروبة، الكويت، د.ت.

القفطي، علي جمال الدين، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1982م.

المبارك، مازن، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1981م.

المبرّد، محمّد أبو العبّاس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994م.

المُرادي، محمد بدر الدين، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 2008م.

مطلوب، أحمد، البلاغة والتطبيق، منشورات وزارة التعليم العالي العراقية، بغداد، ط2، 1999م.

معلوف، سمير أحمد، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996م.

النابغة الذبياني، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1996م.

ويس، أحمد، جماليات التقديم والتأخير في الدرس البلاغي، مجلة علامات في النقد، جدّة، عدد 29، أيلول 1998م، ص280.

ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.